

محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير (أسباب ونتائج)

د. نعمان محمود جبران
جامعة اليرموك

يرجع اتصال الشرق بالغرب الى عصور قديمة ، وقد تم هذا الاتصال بالطريق البري والبحري . ويمكن تتبع الاتصال البري بين الشرق والغرب من ٢٠٠ ق.م حتى بداية التاريخ الميلادي ، حيث أصبح بالامكان تحقيق اتصال بري من الصين الى شرق البحر المتوسط مروراً بوسط آسيا . وقد بقيت هذه الطرق وسيلة الاتصال بين عوالم مختلفة حضارياً ، وشهدت تطورات عدة ، وانتقل عبرها سلع متعددة كان من بينها الحرير الذي أضفى اسمه على هذه الطريق .

ويمكننا القول ان التجارة البرية البعيدة ، وكذلك الاتصال البحري ، مر بالفترات التالية (١) :

- عهد أسرة هان الصينية والبارثيين والرومان حتى بداية العهد المسيحي .
- عهد أسرة تانج الصينية والخلافة العباسية في فترة قوتها .
- عهد امبراطورية المغول بعد سنة ١٢٥٠ م
- عهد السيطرة والثورة البحرية الاوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين .

وهذا الطريق تنازعت عليه قوى مختلفة ، فتارة يخضع لاحتكار ايراني (٢) لاهم الاجزاء منه ، وتارة تحاول روما البحث عن طريق بديل يخلصها من السيطرة الفارسية (٣) ، ومع بدايات المد الاسلامي وتوسع الدولة العربية الاسلامية نلمح ازدهارا وسيطرة شبه كاملة على الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب ، ويبدو ان ذلك كان اكمالاً لاتصالات عربية ببلاد جنوب شرق آسيا ، وفي خلال هذه الفترة لعب العرب المسلمون دور التجار والرحالة والوسطاء بحيث أن معظم انتاج بلاد الشرق كان لا بد ، قبل ان يصل الى اوروبا ، من ان يمر بمصر وبلاد الشام لينتقل عن طريق البحر المتوسط (٤) ، كما شهدت هذه الفترة تزايداً اسلامياً في المراكز التجارية على موانئ الصين وفي داخلية القارة الاسيوية (٥) .

دراسات تاريخية ، العددان ٣٩ و ٤٠ ، كانون الاول ١٩٩١

ونظرا لاشتداد حدة الصراع والتنافس على الطريق البري ازدادت أهمية الاتصال البحري مع الهند والصين ، وقد قام البحر الاحمر والخليج الفارسي بدور محوري في ذلك ، واصبح الطريق البري ثانويا حتى ان الاوروبيين لم يسلكوه ، واكتفوا بحصولهم على ما يريدون من بضائع عن طريق سورية ومصر (٦) .

ان استمرار الصراع حول طرق الاتصال بين الشرق والغرب وما رافقه من اضطرابات سياسية وعسكرية لم تلغ هذه الطرق ، ولكنها كانت تشجع ازدهار طريق اتصال على حساب اخر ، فتارة يزدهر الطريق البحري على حساب الطريق البري، الا ان الامر الذي لم يحصل هو وقوع هذه الطرق تحت سيطرة قوة سياسية واحدة، ولكن التطبيق الفعلي لمحاولة السيطرة على هذا الطريق بدأت مع التوسع المغولي.

ينطلق هذا البحث من أن المغول ، وفي فترة من فترات تاريخهم ، فكروا باقامة دولة عالمية كان من أهدافها السيطرة على الطريق أو جسر التواصل بين الشرق والغرب (طريق الحرير) ، وهذا المشروع كان يهدف الى السيطرة على العوالم الحضارية البيزنطية والعربية الاسلامية والمسيحية الاوروبية (٧) . وعلى اعتبار ان التطبيق الفعلي للمشروع المغولي قد بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي ، كان لا بد من تبين بايجاز القوى السياسية والقبايل التي كانت تسيطر على اسيا والتي يمر منها طريق الحرير من مبتداه في الصين حتى نهايته أو طرفه الغربي على البحر المتوسط ، وتمثل في اسرة كين (١١١٥ - ١٢٣٤) التي تسيطر على الاجزاء الشمالية من الصين ، واسرة سونج (٩٦٠ - ١١٢٧) التي تسيطر على الاجزاء الجنوبية منها ، تليها مجموعات من الاتراك الاويفوريين وهي جماعات شبه متمدنة سيطرت على شمال شرق تركستان وقامت بدور الوسيط بين الاقوام المتحضرة من الايرانيين والصينيين والهنود (٨) ، ثم جماعات القراخانيين (٩) ، والذين استطاعوا ان يكونوا اشبه بالدولة الحاجزة بين المغول والدولة الخوارزمية (١٠) ، التي سيطرت على مناطق ما وراء النهر وكانت دولة ثنائية الثقافة عربية - فارسية ، كما وجدت قوى كان لها نفوذ في مناطق ايران مثل الاسماعيليه ، والعباسيين في العراق ، وسلاجقة الروم في اسيا الصغرى ، والدولة البيزنطية ، ثم الايوبيين في مصر والشام ، والامارات الفرنجية على سواحل بلاد الشام، علاوة على القوى التجارية الايطالية في أكثر من منطقة مما سبق ذكره .

من توزع هذه القوى واختلافها يتبين كبر حجم المشروع المغولي في السيطرة على طريق الحرير ، اذ كان لا بد للمغول من اخضاع هذه القوى أو تحييدها ، أو ضمان تبعيتها ليكون بمقدورهم بسط السلطة الوحيدة على هذا الطريق .

وسيعالج البحث في الصفحات التالية بدايات التوسع المغولي ، واستمراره غربا ، ثم محاولة تلمس الابعاد الاقتصادية الموجهة لاستمرار هذا التوسع ، ليخلص

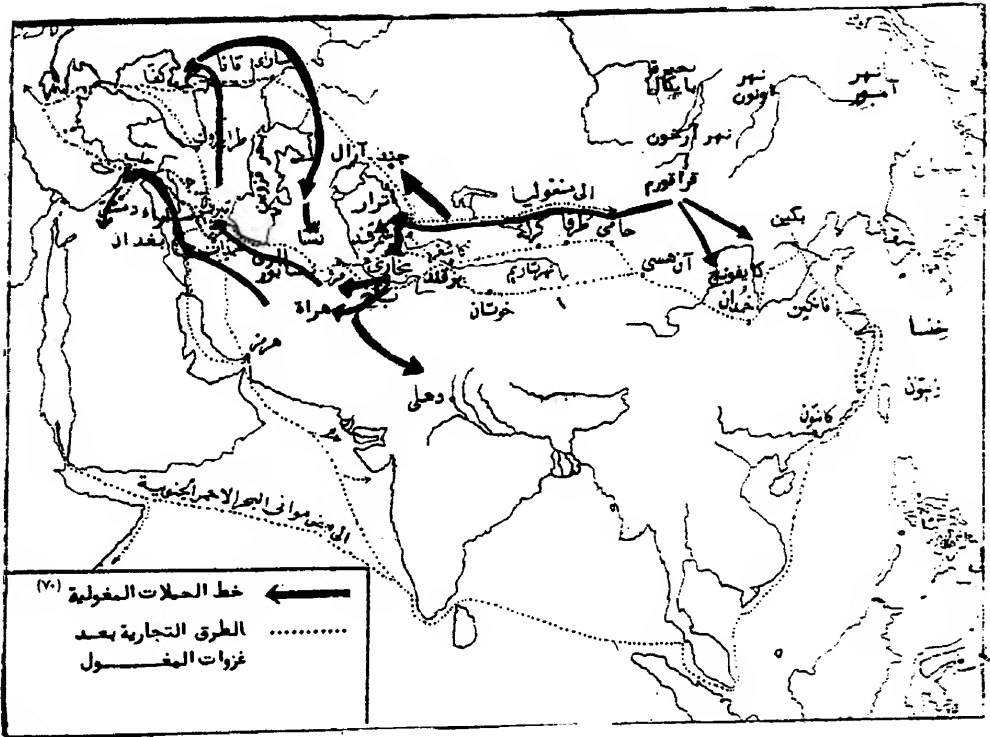
البحث الى اهم النتائج التي ترتبت على محاولة تنفيذ هذا المشروع المغولي مع التركيز على النتائج المتعلقة بالتفاعل الحضاري وازدياد المعلومات الجغرافية التي ساهمت في تيسير اتصال اجزاء العالم بعضها ببعض الاخر ، كما يشير البحث الى ما تأثرت به المنطقة العربية وبخاصة بلاد الشام نتيجة محاولة المغول السيطرة على الطرف الغربي لطريق الحرير .

بدايات التوسع المغولي :

في المناطق الواقعة الى الشرق من نهر سرداريا (سيحون) عاشت مجموعات من القبائل البدوية المتصارعة ، مارست أنماطا من الحياة الاقتصادية مثل الرعي والصيد ، وقامت ببعض النشاط التجاري المحدود كان في جزء منه يعتمد على التبادل التجاري في مواسم معينة و سلع معينة مع قوافل التجار التي كانت تصل الى هذه المناطق أو قريبا منها . وتقسم هذه الشعوب الى قسمين رئيسيين : القسم الغربي الذي اصطلح على تسميته باسم الاترك ، والقسم الشرقي الذي تركز في صحراء جوبي ، ويتشابه مع نظيره الغربي في اللغة والمظهر العام ، وقد اصطلح على تسميته بالمغول ، وامتد مدى انتشارهم الى منطقة السهوب في منغوليا وشمل اجزاء من سيبيريا اضافة الى قسم ثالث عاش الى الغرب من هؤلاء واصطلح على تسميته باسم التتار وقد امتدت مناطق تنقلهم أو استقرارهم المؤقت الى حدود منطقة ماوراء النهر (١١) .

وبحكم ان القسم الثاني من هذه الشعوب (المغول) هو موضوع البحث ، سنحاول ايجاز بعض مراحل تطورهم . فهؤلاء ، وبحكم منطقتهم الجغرافية ، كانوا الاقرب الى الصين ، لذا نجد الصينيين قد قسموهم الى ثلاث مجموعات تبعا لقربهم أو بعدهم عن الحضارة الصينية وطبيعة علاقتهم بها اضافة الى نمط الحياة السائد بينهم فمنهم التتار البيض في الجنوب الى الشمال من الحدود الصينية ، ثم التتار السود الى الشمال منهم ، واخيرا التتار المتوحشون أو تتار الغابات الذين يعتمدون على الصيد كنمط لحياتهم (١٢) . ويشير شولر الى ان الفاعلية السياسية والاقتصادية لهذه الجماعات بدأت مع اعتناق بعضهم للديانة المسيحية ، وظهرت بشكل بارز في القرن العاشر الميلادي ، حين بدأ احتكاكهم مع الصين واخذوا يبعدون بعض القبائل من مناطق منغوليا (١٣) .

واذا نظرنا الى الشعوب والقبائل من الصين شرقا الى البحر المتوسط غربا وجدناها على الشكل التالي : صينيون ، مغول ، تتار ، اترك ، ايرانيون ، عرب . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الاترك والتتار والمغول يعودون الى ارومة واحدة ، اتضح لنا ان



هذه الجماعات (التركية) هي الواسطة بحكم موقعها بين الحضارتين الأكثر رقياً في عالم ذلك الوقت أي الحضارة الصينية والإسلامية ، لكن هذه القبائل كانت متفرقة وبذا لم يكن لهم كبير دور في عملية التأثير والتأثر من هذه الحضارات . وتشير الدراسات المتعلقة بتاريخ المغول إلى أن هذه القبائل قد تخلت عن دورها الهامشي في الحياة السياسية والاقتصادية لتنتقل إلى دور التأثير والتأثر الأكثر خطورة مع ظهور شخصية مغولية هي شخصية تيموجين (١٤) / جنكيز خان (١٢٠٦ - ١٢٢٧ م) ، ويظهر من تاريخه ثلاث مراحل رئيسة أولها توحيد القبائل المغولية تحت زعامة واحدة كمقدمة للمرحلتين التاليتين : التوسع باتجاه الصين ثم البدء في التوسع غرباً ضد العالم الإسلامي . ولقد استطاع انجاح المرحلة الأولى عام ١٢٠٦ فاعترفت به غالبية القبائل المغولية كزعيم ، في حين لجأت بعض القبائل المعارضة إلى المناطق الغربية على القرب من الدول الإسلامية (١٥) ، ثم بدأ بالاعداد الاستراتيجي للمرحلة الثانية ، بعد أن ضمن حماية الجناح الغربي لدولته من الغزوات ، بأن حارب بعض القبائل في الفترة ما بين

١٢٠٦ - ١٢٠٩ وسيطر على بعض الممرات الاستراتيجية (ممر كانسوا) التي تعتبر مدخله لغزو الصين وحقق ذلك عام ١٢٠٩ ، ثم تابع مشروعه بالسيطرة على أجزاء من الصين مستغلا الظروف الصينية الداخلية وما تجمع له من قوة مطمئنا لابعاد القبائل المعارضة له واستطاع أن يحقق انتصارات سريعة وهامة في الفترة ما بين ١٢١١ - ١٢١٥ ، وأخضع بكين لسيطرته (١٦) .

كان لهذا الانتصار آثار بعيدة المدى على التفكير المغولي فلم تعد هذه القبائل لتكتفي بعمليات الاغارة والنهب بل انتقلت الى دور احكام السيطرة على مراكز حضارية ، اضافة لما أعطته هذه الانتصارات من دفع لشهية التوسع ، بل ان التوسع في الصين قد أثر على المغول في نمط الادارة واصدار القوانين وطبيعة الحياة بعد أن أصبح قسم من الصينيين تجارا ومرشدين واداريين وخبراء عسكريين لدى المغول (١٧) كما أنه يمكننا القول ان الفكرة الصينية التي كانت ترى في الصين امبراطورية الوسط وحاكمها ابن السماء قد بدأت تتسرب الى الفكر المغولي بحيث أصبح الحاكم المغولي هو حاكم الشرق والغرب ، وأنه المسيطر الوحيد على العالم (١٨) .

كان توحيد القبائل المغولية والسيطرة على أجزاء من الصين ممهدا للمرحلة الثالثة وهي التوسع غربا ، فبدأت القوة المغولية متابعة بعض القبائل مثل النايما (١٩) التي التجأت الى قبائل القراخانيين المجاورين للدولة الخوارزمية ودخلت في الصراع الدائر بينهم وبين الخوارزميين ، واستطاعت أن تؤسس لها مناطق نفوذ امتدت من مناطق التبت الى حدود الدولة الخوارزمية . وأصبحت بذلك مركز قوة يهدد التجارة مع الصين والمناطق المغولية . ولم يكن جنكيز يسمح باستمرار مثل هذا الخطر فتوجهت قواته اليهم واستطاعت القضاء على هذه السيطرة منذ عام ١٢١٨ (٢٠) وبذا نجد حدود مناطق السيطرة المغولية قد اتسعت واصبحت مجاورة للعالم الاسلامي مباشرة بمجاورتها للدولة الخوارزمية ، وبذلك سيطرت على أجزاء هامة من الطريق البري (طريق الحرير) الذي يربط شرق آسيا بغربها . ولا شك ان سيطرة المغول ضمن هذا التوسع على مدن تجارية قد اثار لديهم الحافز للاستمرار في التوسع الذي قد يكون مدفوعا بنصائح وارشادات من تجار صينيين ومسلمين اصبحوا تحت السيطرة المغولية .

استمرار توسع المغول غربا :

اذا كانت مجاورة الدولة المغولية التي اسسها جنكيزخان للدولة الخوارزمية قد جاءت نتيجة مطاردة المغول لقبائل قد فرت من سيطرتهم غربا ، فانه مما لا شك فيه ان كلا الدولتين (المغولية والخوارزمية) قد عرفت أحدهما الاخرى وما تمتعت

به كل منهما من عناصر قوة اقتصادية وعسكرية ، كما كان لابد لكلا الدولتين ، يحكم المناطق التي تتبع لهما ، من ان تتعاملا ضمن استمرارية او اعادة ما كان من اتصال بين مناطق جنوب شرق اسيا ومناطق وسط اسيا . فالدولة الخوارزمية التي استطاعت باستغلال الظروف التي سادت من ان توسع حدودها لتبلغ في عهد سلطانها علاء الدين خوارزم شاه (٥٩٦ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م) اقصى اتساع لها واشتملت على الاراضي الواقعة من حدود العراق غربا الى حدود الهند شرقا ومن شمال بحر قزوين وبحر ارال شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبا (٢١) ، فسيطرت على مواقع استراتيجية ومدن هامة مثل بخارى وسمرقند وهرمز مما جعلها تتحكم بمعابر الطرق التجارية على طريق الحرير ، في الوقت التي كانت فيه الدولة (المغولية) الناشئة قد سيطرت هي الاخرى على بلد المقصد لاهم التجار على طريق الحرير ، علاوة على المدن التجارية مثل كاشغر ويرقند وختن ، ومعرفة الدولتين كل منهما لحال الاخر ورهبتها وخوفها على مصالحها التجارية جعل حكاه الدولتين يستطلعان كل منهما اخبار الاخرى ويتبادلان الرسائل التي يبدو من خلالها تركيز الطرفين على التجارة والمصالح الاقتصادية (٢٢) .

ويبدو ان المشاكل الداخلية في الدولتين كانت وراء تأخير تصادمهما العنيف ، فالغول كانوا مشغولين بتسوية امورهم في الصين ، والدولة الخوارزمية بعدائها للدولة العباسية . لكن ذلك لم يبلغ ان كلا منهما كانت تنتظر الفرصة للتقدم على حساب الدولة الاخرى ، واذا كان اول صدام بين القوتين سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م قد انتهى دونما نتيجة حاسمة عسكريا الا انه بين خطط الطرفين ، حيث صرح السلطان الخوارزمي ان هدفه هو ان يصطاد فريستين بسهم واحد (٢٣) ، ويقصد بذلك القوة المغولية والقبائل التركية على حدود دولته ، في حين كان رد الغول ان تقدمهم لهذه المناطق المجاورة للدولة الخوارزمية هو في خدمة السلطان ، وقصد جنكيزخان من ذلك ان اعماله العسكرية على حدود الدولة الخوارزمية هي لتصفية القبائل والجماعات التي تهدد او يمكن ان تعيق سبيل التجارة بين الدولتين ، وقد وضح ذلك من الرسالة التي بعث بها جنكيز مع وفد تجاري الى خوارزم شاه (٢٤) . ولكن هذه الرسالة ، وان كانت تؤكد ان حرية التجارة كفيلة بتحقيق المنافع للطرفين ، الا انه ركز فيها على قوة الدولة المغولية ، كما ركز على مفهوم السيطرة المغولية التي تفترض التبعية من الاخرين ، « ليس يخفى على عظيم شأنك . . وانا ارى مسالمتك من جملة الواجبات وانت تعد مثل اعز اولادي وغير خاف عليك انني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد اذعنت لي قبائلهم وانت اخبر الناس بأن بلادي ماثرات العساكر ومعابر الفضة وان فيها لغنية عن طلب غيرها فان رايت ان تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد عمت المنافع وشملت الفوائد » (٢٥) وقد تبع هذه الرسالة توقيع معاهدة تجارية وتبادل

الوفود التجارية ويشير النسوي الى مثل هذه الوفود والرسائل المتبادلة (٢٦) . لكن احدى هذه القوافل التجارية القادمة من الدولة المغولية الى الدولة الخوارزمية تعرضت للنهب والقتل في مدينة اترار (٢٧) وكان الرد المغولي عنيفا فافضى الامر الى الحرب بين الدولتين . وكانت الحجة المغولية هي الحجة التي ابتدعت ضد القبائل التركية الا وهو تهديدها للخطوط التجارية ، وكان الرد المغولي « من المعهود ان التجار لا يقتلون لانهم عمارة الاقاليم وهم الذين يحملون الى الملوك ما فيه التحف والاشياء النفيسة ثم ان هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك » (٢٨) ، واذا كانت حادثة اترار هي التي عجلت الحرب لكنها بلا شك ليست السبب الوحيد ، فقد كان التوسع او التخطيط للتوسع ينسجم مع الافكار المغولية التي بدأت تتبلور بعد سيطرتهم على الصين ، فجنيكيز خان هو الحاكم على الشرق والغرب وهو الذي لا يقبل منافسين وانما يقبل اتباعا ، وهو صاحب القول : « كان الرجال الحكماء المسنون يعلموننا دائما ان القلوب والعقول المتباينة لا يمكن ان تكون في جسد واحد ولكنني اريد ان اثبت ان ذلك ممكن عمليا فسوف ابسط نفوذي على جميع جيراننا » (٢٩) . وبدأت الحرب التي يبدو ان اعداد المغول كان لها جيدا بحيث انتهت بالسيطرة على الاجزاء الهامة في الدولة الخوارزمية قبل وفاة السلطان علاء الدين محمد ٦١٧هـ / ١٢١٩م ، واستكملت السيطرة بعد محاولات المقاومة في عهد جلال الدين منكبرتي (٦١٧ - ٦٢٨هـ / ١٢١٩ - ١٢٣١م) ، واذا تتبعنا سير القوات المغولية في السيطرة على المناطق الخوارزمية لوجدنا انها تكاد تسير المحطات الرئيسية على الطريق التجاري بدءا من اترار الى سمنان ثم جند وبناتك وخجند وبخارى وسمرقند وبلخ ، مرورا بمدن مقاطعة خراسان مثل هرات ومرو ونيسابور ، وصولا الى منطقة الري (٣٠) ، ليتم التركيز بعد ذلك على اقليم خوارزم وعاصمته جرجانية كمقدمة للسيطرة على مناطق الخزر وخراسان (٣١) .

وكنتيجة لهذه النجاحات في اخضاع مناطق نفوذ الدولة الخوارزمية يكون المغول قد سيطروا على اهم المنافذ التجارية ، وفتحوا طرقا تجارية توصلهم الى اوربا عبر الاراضي الواقعة بين البحر الاسود وبحر قزوين ، وكأنهم بذلك يمهدون المجال لحياء التجارة في منطقة البحر الاسود الذي أصبح فيما بعد من المناطق التجارية الهامة للاروبيين .

وضمن هذا الاطار الجغرافي للتوسع المغولي والذي لم يكتمل في عهد جنيكيز خان لكنه أوجد امكانية تطبيق فكرة الدولة العالمية التي سعى خلفاء جنيكيز للمضي في تحقيقها ، فركزوا جهودهم للوصول الى شواطئ البحر المتوسط ، واوكلت مهمة تحقيق ذلك بعد تقسيم الامبراطورية المغولية (٣٢) الى الخانية فارس (٦٥٦ - ٧٣٧هـ ١٢٥٨ - ١٣٣٦م) التي سعت لذلك بوسائل متعددة .

الطرف الغربي لطريق الحرير ومحاولة السيطرة المغولية :

ليست مهمة هذا البحث متابعة التطورات التي حدثت في الدولة المغولية بعد وفاة جنكيز خان ، بل التركيز على فكرة مشروع الدولة العالمية المغولية التي لم تنته بوفاة مؤسسها ، فعلى الرغم من أن امبراطورية جنكيز خان قد قسمت بين ابنائه وابناء بيته الا ان الغالبية العظمى منهم قد أقرت بإمكانية متابعة التوسع ، ففي عهد خلفائه تمت السيطرة على بقية أجزاء الدولة الخوارزمية ، ثم تصفيتها نهائيا سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م (٢٣) ، واعادوا السيطرة على مناطق ثارت على حكمهم وسيطروا على مناطق جديدة في ايران ووصلوا حتى سامراء سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ (٢٤) ، ووسعوا نفوذهم الى مناطق جورجيا وأرمينيا وأكرانيا وتابعوا زحفهم على بولندا وفينيا وسواحل البحر الادرياتي ، وأخضعوا مناطق الاناضول حتى عام ٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م.

وفي عهد منكوقان ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م ، بدأت خطط المغول للسيطرة على بقية مناطق ايران والعراق وصولا الى بلاد الشام . وكان التوجه لهولاكو يبين ان الهدف النهائي للمغول في هذا الاتجاه هو الوصول الى موانئ البحر المتوسط ، ويبدو ذلك جليا في ما قاله له منكوقان : « ... ينبغي أن تسير من توران الى ايران . وحافظ على تقاليد جنكيز خان وقوانينه في الكليات والجزئيات وخص كل من يطيع أوامرنا ويحجب نواهيك في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي مصر بلطفك وأنواع عطفك وأنعامك ، أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة .. وأبدا بأقليم فهستان في خراسان فخرّب القلاع والحصون .. وإذا فرغت من هذه المهمة فعليك أن تتوجه الى العراق وأزل من طريقك اللور والاكراذ الذين يقطعون الطرق على سالكيه » (٢٥) . يتضح من ذلك أن الغزو المغولي استمر وفق خطة جنكيز خان للسيطرة على الشرق والغرب ، وان ذلك قد توافق في عهد هولاكو خان وأتباعه من حكام في الخانية فارس مع الفكرة الفارسية القديمة التي لم تكن لتكتفي بالسيطرة على بلاد ما بين النهرين بل كانت تسعى دوما لايجاد ممر لها الى البحر المتوسط (٢٦) ، ويتضح ذلك أكثر بعد أن تمت للمغول السيطرة على قلاع الاسماعيلية سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م وتابعت قواتهم زحفها الى همدان . وفي تلك الاثناء تقابل هولاكو مع أحد قادته وهو بايجو نويان فقال له : « لقد ذهب في الوقت الذي ذهب فيه جرماغون فماذا فعلت عندما حلت محلته في ايران وكمن جيش قهرت ... وما العدد الذي أخضعته ... ؟ فأجاب انني لم أقصر وانما بذلت كل ما في مقدوري فأخضعت الاقاليم الممتدة ما بين باب الري حتى حدود الروم والشام ما عدا بغداد ... ثم قال له هولاكو : يجب أن تعود لكي تستولي على تلك الولاية حتى شاطئ البحر من أبناء الفرنج والكفار » (٢٧) .

وتطبيقاً لهذه السياسة اجتاحتها بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ليتابعوا زحفهم على بلاد الشام ، وكانت أوضاعها مضطربة في ظل أبناء البيت الايوبي وصراهم مع المماليك في مصر والامارات الصليبية على السواحل . وأدرك المغول أهمية السيطرة على بلاد الشام فتحالفوا مع بعض الامارات الصليبية ومملكة أرمينيا ، الذين شاركوهم في الهجوم على مدن الشام من حلب شمالاً الى غزة جنوباً (٣٨) . ولكن سيطرتهم لم تدم بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، الا أن المحاولات من قبل الخانية فارس استمرت في عهد خلفاء هولاكو آخذين بعين الاعتبار أهمية هذه المنطقة والقوى المؤثرة عليها ، وبخاصة الدولة البيزنطية والقوى الأوروبية الغربية اضافة الى المدن التجارية الإيطالية والامارات الصليبية ، فحاولوا عقد المعاهدات لتكوين أحلاف الهدف منها السيطرة على بلاد الشام ومصر ، ونلمح في ذلك محاولة مغولية أوروبية لاقتسام مناطق النفوذ في المناطق العربية الا أن هذه الجهود لم تفض الى نتيجة ايجابية كما تمنوها (٣٩) . وفي المقابل سعت الدولة المملوكية التي أصبحت بلاد الشام ضمن مناطق نفوذها ، لحماية هذه المنطقة فركزت على ايجاد تحالفات تهدف الى اضعاف التوجه المغولي ، فركزت على التحالف مع مغول القبيلة الذهبية (٤٠) وسعت في الوقت نفسه على أن يكون لها تأثير على بيزنطة، كما عملت ، وضمن سياسة ذكية ، على ألا تحارب عدوين في آن واحد ، الصليبيين والمغول . ويبدو أن أوضاع كل من القوى الصليبية والخانية فارس قد خدم هذا التوجه المملوكي ، بل نرى أن الدولة المملوكية قد نجحت في إنهاء الوجود الصليبي على ساحل بلاد الشام بتحرير عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م (٤١) ، مما أتاح لها التفرغ بشكل كامل لجهة المغول والقوى الحليفة لها فاستطاعت أن تحقق نجاحات ضمن سياسة التأثير على مملكة أرمينيا الصفري ، وكذلك سلاجقة الروم . وقد نجحت بالسيطرة على مناطق استراتيجية من الناحيتين العسكرية والتجارية مثل قلعة الروم (قلعة المسلمين) (٤٢) ، لكن هذه النجاحات المملوكية والتفيرات في داخل دولة الخانية فارس لم تمنع المغول من تجديد المحاولات للسيطرة من جديد على بلاد الشام ، وكان من أهم هذه المحاولات وصولهم لدمشق سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م (٤٣) ، لكن المحاولات العسكرية التي فشلت في تحقيق الهدف المغولي لم تمنعهم من السعي بعد فشلهم وبكل الوسائل لاطباق السيطرة على الطرق التجارية الشامية الى اللجوء لعقد المعاهدات التي ركزت من ضمن ما ركزت عليه على البعد التجاري وكان من أهم هذه المعاهدات تلك التي وقعت سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ، والتي كان لتاجر شامي الدور المهم في انجازها (٤٤) .

وهكذا نجد أن التوسع المغولي والذي بدأ بمحاولات ناجحة في السيطرة على الصين قد تتابع غرباً منهيها سيطرة قبائل تركية على حدود الدولة الخوارزمية ثم أزال الدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر كما أنهى الخلافة العباسية ليستقر على حدود

بلاد الشام ، هذا التوسع المغولي نجده من خلال تتبع قواته العسكرية وهي تسيطر على كل هذه المناطق متوافقا مع خط سير طريق الحرير ، مما يؤكد أن طريق الحرير هو تبادل السلع والأفكار والديانات والفن ، التي لم تكن لتتفاعل بالطريق السلمي فقط وإنما أحيانا بالقوة العسكرية ، ولربما كان التوسع المغولي خير مثال على انتقال وتفاعل العناصر الحضارية بين الأمم المختلفة على الرغم مما رافق هذا الفزو من قتل وتدمير وشل لمراكز حضارية في مناطق مختلفة ، وسيحاول البحث القاء بعض الضوء على ما رافق هذا التوسع المغولي من تفاعل حضاري وحوار بين الأمم المختلفة مركزا على ما تأثرت به المعارف الجغرافية العالمية والسياسة الدولية اضافة الى ما تأثرت به الطرق التجارية وما تبع ذلك من انتقال لجماعات بشرية في الاتجاهين الشرقي والغربي علاوة على ما تأثرت به الديانة الاسلامية مقارنة بالديانات الأخرى التي أتيح لها التفاعل ضمن اطار دولة واحدة ، كما سيشير البحث الى نقطة جديرة بالاهتمام ألا وهي التفاعل السكاني الذي لا بد أنه قد حصل نتيجة هجرة واستقرار أقوام مختلفة في بلاد الشام ومصر .

نتائج السيطرة المغولية على طريق الحرير :

بعد أن استطاع المغول وفي فترة قياسية تأسيس امبراطورية قارية واسعة امتدت من حدود الصين شرقا الى بلاد الشام غربا ، سيطروا بحكم هذا الامتداد الجغرافي على أهم طريق موصل بين شرق آسيا وغربها ، ومما لا شك فيه أن العوامل الاقتصادية قد لعبت دورا محوريا في توسعهم المستمر ، ويمكن أن نلمح مدى اهتمام المغول بالبعد التجاري ضمن الحياة الاقتصادية . فعلاوة على طبيعتهم البدوية التي جعلت للتجارة أهمية خاصة عند بعض قبائلهم ، نلمح أن هذا الاهتمام بدأ يتزايد بعد توحيدهم تحت قيادة واحدة ، اضافة الى ما قدمته المناطق التي خضعت لسيطرتهم من تنوع اقتصادي . والاشارات التي ترد عن تاريخ المغول توضح مدى اهتمامهم بالتجارة حيث أمنوا قانونيا (الياسه) حرية التجارة وتقديم الرعاية للتجار(٤٥) . كما أولى المغول اهتماما متزايدا للطرق التجارية وحفظ النظام والامن لمستخدميها ، وأوجدوا ما يسمى بالمستحفظين (القراقجية) الذين يتولون توفير الامن على الطرق التجارية ، كما يتبدى اهتمامهم بالتجارة والتجار من خلال علاقتهم مع الدول التي كانوا على تماس معها كما هو الحال بالنسبة للدولة الخوارزمية قبل أن يسيطروا عليها وكما تبدت علاقتهم مع الدولة المملوكية التي كانوا على عدااء معها ، وشمل الامر أيضا علاقتهم ببيزنطة أو الامارات الإيطالية ، كما عملوا على ايجاد مناطق استقرار لجماعات صغيرة أسكنت على طول الطرق التجارية(٤٦) ، وقد جاء ذلك ليقدم غرضين في آن واحد : تأمين الاتصال بين المناطق المختلفة للامبراطورية المغولية ضمن اهتمامهم بنظام البريد ، وتوفير مناطق استراحة للتجار في جميع أرجاء هذه الدولة .

ونلمح التركيز على البعد الاقتصادي حتى من خلال سيطرتهم العسكرية الغالب عليها العنف في معظم المناطق التي خضعت لهم ، ويبدو ذلك جليا في أن معظم الفئات التي نجت من قتلهم كانت تشمل التجار والحرفيين ، الذين غالبا ما أرسلوا من مناطق السيطرة الى مركز الدولة في منفوليا(٤٧) . على أن هذا الاهتمام المتزايد بالتجارة يجب ألا يلفي حقيقة أن الحياة الاقتصادية والتجارية بشكل خاص قد تأثرت سلبا بالتوسع المغولي ، حيث أعقب الغزو مباشرة تعطل الطرق التجارية والبرية منها بشكل خاص . لكن ذلك لا ينسحب على الفترة المغولية بشكل كامل ، فما أن استقرت السيطرة المغولية على مناطق التوسع الا وبدأت حركة ازدهار وتوسع للطرق التجارية ، فازدهر الطريق البري الذي بدأ من الصين مخترقا تركستان بالاتجاه الشمالي من بحر قزوين الى موانئ البحر الاسود ، أو الطريق الذي يسير جنوب بحر قزوين مجتازا ايران الى طرابيزون الى منطقة آياس بارمينيا ، وأصبح مطروقا أكثر من الطريق البحري ، كما أدى الى نشوء مراكز تجارية اوروبية للايطاليين في منطقة كافا (ثيوديسيا القديمة) (٤٨) . وتعمق الاهتمام بمثل هذه المراكز بعد استمرار الصراع بين الخانية فارس ودولة المماليك مما حول جزءا كبيرا من التجارة الى جنوب روسيا . وهكذا نرى أن الغزو المغولي الذي ساهم في احياء طريق الحرير قد أوجد تفرعات أخرى لهذا الطريق الرئيسي القديم ، بحيث بدت لنا طريقين رئيسيين بعد الغزو ، الطريق الاول من البحر الاسود الى شمال تركستان مرورا بوسط آسيا الى الصين عبر اتجاهين اما مرورا بالسهول الشمالية (سهول زنجاريا) أو عبر حوض نهر التاريم ثم خوتان في الجنوب ، وكان طريقا برياً ، والطريق الثاني بحري - بري اما من طرابيزون أو خليج الاسكندرونه ليصل الى منطقة تبريز الى هرمز ليسير عبر طريق المحيط الهندي الى مناطق الهند والشرق الأقصى ، وقد ازدادت أهمية هذا الطريق بعد السيطرة المغولية على بغداد بحيث أصبحت تبريز المكان الذي يرتاده التجار من مناطق الشام وشمال بلاد ما بين النهرين ، وغدا الطريق الرئيسي خلال القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي .

كان لهذا التوسع في الطرق التجارية أثر على فقدان بعض المناطق لأهميتها التجارية ، فانطاكية مثلاً وحلب فقدتا جزءاً من نشاطهما التجاري لصالح آياس الثغر الارميني على البحر المتوسط والذي اعتمده التجار لتجنب الطريق الذي يمر في أراضي الدولة المملوكية التي كانت على عدااء مع دولة المغول ، الا ان ذلك لا يعني بالضرورة ان كل الحركة التجارية قد تركزت في هذه المناطق الجديدة بل كان لا بد لجزء هام من التجارة ان يمر عبر بلاد الشام وبخاصة حلب ودمشق ، ومما زاد من حرية الحركة ونشاطها ان معظم المنافذ والطرق التجارية تقع ضمن اطار دولة واحدة، وحتى بعد انقسام الدولة المغولية الى مناطق سياسية مختلفة لم تتأثر الحركة التجارية

سلبا ، فنرى الخانية فارس تسمى بوسائل مختلفة لتنشيط الحركة التجارية مع دولة المماليك ، وكذلك الحال مع مغول القبيلة الذهبية الذين ارتبطوا بمعاهدات سياسية واقتصادية مع المماليك وببزنطة والامارات الإيطالية . واذا كانت بلاد الشام قد تأثرت بتحول الطرق التجارية مؤقتا الا أن هذا الوضع قد تغير بعد النجاحات العسكرية التي حققها المماليك ضد المغول وأرمينيا والامارات الصليبية .

وبالاجمال يمكن القول أن الغزو المغولي قد أعاد الحياة لطريق الحرير العظيم وأن زاد تشعبه ضمن امبراطوريتهم(٤٩) ، وقد أدى ذلك الى نتيجة أبعد أثرا في التاريخ الانساني الا وهي ازدياد الاتصال بين الغرب الاوروبي والصين ومناطق السيطرة المغولية ، فقام الاوروبيون برحلات وبعثات ضمن الامبراطورية المغولية كانت تهدف لأغراض سياسية والبحث عن حلفاء ضد المسلمين واقتصادية للحصول على منتجات الشرق دونما وساطة دولة المماليك ، وأهداف دينية تهدف الى نشر الدين المسيحي . ومن أبرز الاعلام الاوروبية التي زارت الامبراطورية المغولية جيوفاني دي بيانو كاريني في الفترة الواقعة بين ١٢٤٥ - ١٢٤٧ ، والذي كان أول من زود الغرب بمعلومات ثرية عن الشرق والمغول ، وروبروك عام ١٢٥٢ ، الذي كان لمعلوماته أكبر الاثر في حث الغرب على المزيد من الاتصال بالمغول ويعتبر تقرير روبروك وحسب قول كلوزيه ، من أفضل المؤلفات الجغرافية التي وصلتنا من العصر الوسيط(٥٠) ، كما كان لرحلة ماركو بولو والذي أقام في الامبراطورية المغولية ما يزيد على سبعة عشر عاما الاثر الأكبر في الكشف عن ثروات الشرق الأقصى التي شجعت الرحالة والمكتشفين الاوروبيين لاجتياز آسيا ضمن خططهم للبحث عن أقصر وأرخص وأسهل الطرق للوصول للشرق الأقصى والهند ، مما مهد لقيام حركة الكشوف الجغرافية التي أدت فيما بعد الى تغيير في الطرق التجارية علاوة على اكتشاف امريكا ، مما جعل ايلين بور تقول « أن ماركو بولو قد اكتشف بلاد الصين في القرن الثالث عشر وهو على قيد الحياة واكتشف امريكا في القرن الخامس عشر بعد وفاته »(٥١) . ولم يقتصر أمر ازدياد المعرفة الجغرافية على الاوروبيين بل كان لرحلة ابن بطوطة الاثر الهام في تقديم معلومات جغرافية واقتصادية وبشرية عن المناطق التي زارها ، مما ساهم في إثراء المعرفة الاسلامية لمناطق جنوب شرق آسيا والتي تكونت لديهم عن علاقاتهم السياسية والتجارية في القرون السابقة(٥٢) ، كما زادت معارف الصينيين بالمناطق الجغرافية العالمية وخاصة بمناطق الشرق الاوسط وافريقيا ، إذ قام رحالة صينيون من أشهرهم تشنغ خه ما بين ١٤٠٥ - ١٤٣٣م بسبع رحلات الى مناطق مجهولة وبذلك يكون قد سبق اكتشافات كولمبوس بنصف قرن(٥٣) . وقد أدى ذلك الى زيادة التفاعل الحضاري بين الشعوب ، واذا كان الفضل في ذلك لا يعود بشكل مباشر الى العنصر المغولي الا أنه بلا شك قد كان عن طريقهم بشكل غير مباشر وذلك لأنهم شكلوا امبراطورية واسعة

ربطت الغرب ووسط آسيا بالشرق الأقصى بعلاقات مستمرة كما أنها ضمت شعوبا ذات حضارات وثقافات مختلفة أتيح لها امكانية التفاعل لفترة طويلة من الزمن ، فان لم يكن المغول ناقلي حضارة الا أنهم شجعوا النقل الحضاري والتفاعل بين الشعوب التي خضعت لسيطرتهم وتلك التي تعاملت معهم .

ومن الآثار الهامة التي ترتبت على المشروع المغولي باحكام السيطرة على طريق الحرير ان ازداد تنقل الجماعات البشرية في الاتجاهين الشرقي والغربي لطريق الحرير سواء اكان هذا الانتقال طوعيا او قسريا ، فلمحنا ازدياد التواجد الاسلامي في معظم مناطق الصين من الجماعات التي أخذها المغول من مناطق السيطرة لتلتئم مع جماعات اخرى جاءت لتستقر وتعمل في التجارة وبذلك كان يمكن ان نجد مجموعات من التجار العراقيين والشاميين الى جانب الفرس والأتراك في مناطق الصين ومنغوليا ومناطق سيطرة القبيلة الذهبية(٥٤) ، وبالمقابل يلمح تواجد صيني في مناطق ايران كما اشار لذلك الاسقف الصيني شانج شون وتحدث على اعداد من العمال الصينيين في مدينة سمرقند(٥٥) ، كما اشار روبروك الى وجود مجموعات من الالمان والروس والفرنسيين في البلاط المغولي(٥٦) ، وبذلك فان هذا المزيج من أبناء الشعوب المختلفة لا بد وانه تفاعل تائرا وتأثرا على جميع الاطراف كما اثر بنفس الوقت على التطور الحضاري والفكري للمغول .

ومن النقاط الجديرة بالبحث بما يتعلق بالمنطقة العربية (الشام ومصر) هي دراسة الجماعات التي وفدت لهذه المنطقة من جراء المشروع المغولي في التوسع غربا للسيطرة على الطرف الغربي لطريق الحرير ، ففي أثناء السيطرة المغولية على الدولة الخوارزمية اندفعت مجموعات من القبائل الخوارزمية ليستقر بها المقام في بلاد الشام في فترة الدولة الايوبية ، وقد ساهمت هذه الجماعات كقوى عسكرية في الاحداث التي كانت تمر بها الدولة الايوبية سواء على الصعيد الداخلي او في حربها مع القوى الفرنجية ، وتشير المصادر الى ان جزءا من هؤلاء الخوارزمية قد استوطن في جنوبي بلاد الشام في مناطق البلقاء وغزة ، واخر كان في منطقة بقاع بعلبك وغوطة دمشق ، وتشير المصادر الى أن اعدادهم كانت تزيد على العشرة الاف(٥٧) ، لكن مما يؤسف له ان المصادر التاريخية لا تزودنا بمعلومات عن مدى ما اثرت به هذه الجماعات على الوضع الحضاري والسكاني لبلاد الشام . ومن التأثيرات التي نجمت عن السيطرة المغولية على بلاد ما بين النهرين أن أصبحت بلاد الشام ومصر بلد المهجر لكثير من القبائل المغولية التي توافدت وفي فترات زمنية مختلفة ، ففي سنة ٦٦٠ هـ وفد لبلاد الشام ما يزيد على مئتي فارس مغولي بنسائهم واهاليهم(٥٨) ، وبعد ذلك بسنة وفد ما يزيد على الف وثلاثمئة(٥٩) ، ثم تابعت هجرة الجماعات المغولية سنة ٦٨٠هـ(٦٠) ، ولكن الموجة الاكبر كانت ما بين سنة ٦٩١ - ٦٩٥ هـ اذ تشير المصادر الى

قدوم ما يزيد على عشرة الاف اسرة تفرقت في مصر وبلاد الشام وتم اسكان مجموعات منهم على الساحل الفلسطيني(١١) ، وتشير المصادر أيضا الى أن جزءا من هؤلاء اختلطوا بسكان المنطقة عن طريق الزواج والعمل ، وأن جزءا منهم اعتنق الاسلام، ولكنهم احتفظوا بالكثير من عاداتهم وطرائق حياتهم مما جعل المقريري يقول « بعد كثرة وقائع المغول في بلاد المشرق والشمال والقفجاق واسروا كثيرا منهم وباعوهم وتنقلوا في لامصار وملثوا مصر والشام وانتشرت عاداتهم وطرائقهم . . وكانوا انما ربوا بدار الاسلام واتقنوا القرآن وعرفوا احكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل »(١٢) ، ويشير أيضا الى أنهم يحكمون القرآن في بعض أمور حياتهم وفي البعض الآخر يرجعون الى القوانين المغولية ، بل وتشير المصادر الى أن بعض حكام الدولة المملوكية قد مال الى اعطاء هذه الجماعات الوافدة امتيازات خاصة بحكم القرابة العرقية(١٣) . ولا شك ان مثل هذه الجماعات قد أثرت بشكل أو بآخر على نمط الحياة الاجتماعية في بلاد مصر والشام خاصة فيما يتعلق بالنظرة للمرأة أو بما ادخلوه من أنماط في الملبس والمأكلا (١٤) كما يمكن ان يكون لهذه الجماعات اثر في القوانين والتشريعات المملوكية اضافة الى آثارها على طبيعة الحياة العسكرية للدولة المملوكية.

ومن ضمن الآثار التي ترتبت على الغزو المغولي الاثر على التركيبة السكانية لبلاد الشام ، ففي الوقت الذي استقطبت فيه بلاد الشام مجموعات خوارزمية ومغولية، كانت أيضا بلد المهجر لسكان بعض مناطق العراق فنجد في الفترة المملوكية العديد من أسماء العائلات التي تنتسب الى مناطق سامراء وتكريت وبغداد والجزيرة الفراتية ، كما كان لاستمرار تعرض بلاد الشام لخطر الهجمات المغولية ان ازدادت الهجرة السكانية من شمال بلاد الشام الى جنوبها ، وكذلك حركة الهجرة الى مصر. وأثرت الهجمات المغولية على بلاد الشام سكانيا واقتصاديا بقتل العديد من سكانها أثناء الغزوات ، أو من خلال بعض السياسات المملوكية ، بتهجير بعض السكان من بلاد الشام الى مصر وخاصة الفئات التي دارت حولها الشبهات من امكانية تعاونها مع المغول(١٥) ، ونتيجة لذلك كله نجد أن الغزو المغولي الهادف للسيطرة على الطرف الغربي لطريق الحرير (بلاد الشام) قد ساهم في تفاعلات حضارية شملت منطقتي مصر وبلاد الشام .

ولا يمكننا اغفال ما تأثرت به الديانة الاسلامية نتيجة التوسع المغولي بحيث ادى ذلك الى ازدياد اعداد المسلمين في مناطق الصين، مع العلم بأن التواجد الاسلامي في هذه المناطق كان سابقا على الغزو المغولي ، وقفز قفزات واسعة في هذا العصر مستفيدا من التسامح الديني الذي تميزت به الاسر المغولية ومن النشاط التجاري مما اتاح للمسلمين فرصة كسب المنافسة مع الديانات الاخرى وخاصة البوذية والمسيحية بل أن الاسلام وحضارته كان قادرا على تطويع الجزء الاكبر من المغول بدخولهم للاسلام

كما حصل للقبيلة الذهبية ، وكذلك الخانية فارس التي أصبح الجزء الأكبر من حكمها من المسلمين (١٦) ، ولا شك ان ازدياد عدد المسلمين واعتناق الدول المغولية للديانة الاسلامية رافقه تأثير متبادل في مجال اللغة والادب والفن ، ويمكن ان نلمح اثر الفن الاسلامي في العديد من المساجد التي اسست في الصين ومنها مسجد تشيوانتشو (مسجد وحيد القرن) الذي يشبه في بعض تصاميمه المسجد الاموي في دمشق (١٧).

وفي الختام يمكننا القول بأن طريق الحرير الذي كان بمثابة الجسر التاريخي للتواصل بين الشرق والغرب لم يكن طريقا لتنقل البضائع التجارية فحسب ، بل كان طريقا للفن والادب والدين ، ولم يكن طريقا للتواصل السلمي ، بل كان طريقا لتحرك الجيوش من شرقه وغربه ، ولكنه كان كما تقول سونيا ي. هاو « ومهما يكن من تحول مراكز المدينة من مدينة الى أخرى فان شيئا لم يستطع شل حركة تجارة التوابل أو منع ازدهارها واطراد نموها ... كانت تجارة التوابل منشأ العلاقات بين الامم ، منها تكونت حلقات الاتصال بين فترات التاريخ ولها يرجع الفضل في ايجاد الاتصال بين الشرق والغرب بصورة مستمرة » (١٨) . وعلى ضوء ذلك يمكننا القول ان السيطرة المغولية على طريق الحرير وان تميزت بالعنف الا انها لم تكن قادرة على الغاء الدور الحضاري لهذا الطريق كجسر للتواصل الانساني ، كما ان هذه السيطرة لم تكن لتلغي الدور الحضاري لبلاد الشام كمناطق اشعاع وتفاعل انساني ، وان كانت قد نجحت في فاصل زمني من اضعاف هذا الدور ، بل ان بلاد الشام ومصر هما اللتان وقفتا في وجه المد المغولي وساهمتا في تطويعه لخدمة الاغراض الانسانية من التواصل الحضاري.

الهوامش

وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، القاهرة ، دار المعارف ، بلا تاريخ ، ص ٥٠ .

سليمان التاجر وابو زيد السيرافي : اخبار الصين والهند ، تحقيق وتحليل ابراهيم خوري ، كتاب الابحاث ، سلسلة ابحاث ودراسات من تاريخ شبه القارة الهندية ، بيروت ، دار الموسم للاعلام ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ٣٥ ، ٣٧-٤١ ، ٤١٠-٦٠ .

السعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٨٤ ص ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٦٢ .

محمد مكي الصيني : نظرة جامعة الى تاريخ الاسلام في الصين وأحوال المسلمين

(١) Philip D.Curtin : **Cross - Cultural Tradein World History** , Cambridge University Press, Cambridge , 1984 , p. 106 .

(٢) حافظ احمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٩م ، ص ٢٩٣ .

(٣) ف . هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى ، ج ١ ، ترجمة احمد محمد رضا ومراجعة وتقديم د.عز الدين فودة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص ١٨٠ .

(٤) فاروق عثمان ابازلة : اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر

Hans - Reiner Kämpfe ; « Ginggis Khan . in Michael Weiers (Hrsg) . : Die Mongolen, Wissenschaftliche Buchgesellschaft , Darmstadt , 1986 , pp. 183-186 .
Ibid : p. 187 - 188 .
Bertold pp. 10 - 11 .
Hans - Reiner Kämpfe : Op. Cit, pp. 186 - 187 .

حافظ حمدي : مرجع سابق ، ص ١٣ .
الصيد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٣ .
Bertold , p. 10 .
Ibid : p. 10 .

السيد الباز العريني ، مرجع سابق ، ص ٦٦ - ٦٨ .
الصيد ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٥٤ - ٦٦ .

حافظ حمدي : مرجع سابق ، ص ٥٩ ،
٧٩ - ٨٠ .
الصيد : مرجع سابق ، ج ١ ص ٥٤ - ٥٧ .

حافظ حمدي : مرجع سابق ، ص ٣٤-٣٥ .
عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٦٠ .

Hans Reiner Kämpfe : Op. Cit, p. 188 .

Barthold ; Turkestan down to the Mongol Invasion , London , 1928 , p. 369 .

الصيد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٩٥-٩٦ .
النسوي ، شهاب الدين محمد بن أحمد : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ أحمد بدوي ، القاهرة ، ١٩٥٣ ،

ص ٤٧ ، عفاف صبرة : مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

حافظ حمدي : مرجع سابق ، ص ٨٢ (٢٦)

النسوي : مصدر سابق ، ص ٨٣-٨٤ . (٢٧)

عفاف صبرة : مرجع سابق ، ص ١٦٢ ،
١٦٥ .

فيها ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٥٣هـ ، ٦-١٠ .

Bretschneider. E : Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, st. Petersburg, 1887, Vol, 1 , pp. 264 - 265 .

ف. هايد : مرجع سابق ، ص ١٧٥ . (٦)

لوفران : تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ترجمة هاشم

الحسني ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بلا تاريخ ، ص ٤٠ .

فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ، ج ١ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ، ص ٢١-٢٢ ، ٤٨ . (٨)

القراخانيون : اصلهم من قبائل الخطا وهم خليط من المغول والتانجوت ، نزحوا

في النصف الاول من القرن السادس الهجري الى مناطق تركستان وكونوا دولة تفصل

بين الدولة الخوارزمية في الغرب والمغول في الشرق . انظر الصيد ، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤ . (٩)

Bretschneider : Op. Cit, Vol, 1, pp. 208 - 209 . (١٠)

الصيد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١-٢٢ .

حسين مؤنس « المغول والاسلام » ، مجلة العربي ، عدد ١٥١/١٩٧١ ، ص ٢٢ . (١١)

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : الدولة العباسية ، القاهرة ، جامعة القاهرة ،

مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٧ ، ص ٢٨٠ .

Bertold Spuler : «Die Mongolen Zeit» , in : Handbuch der Orient alistik , Sechster Band ,

E. J. Brill - Leiden - Koln , 1953 , P. 4 .

Ibid : p. 4 . (١٢)

حول تاريخ ميلاده وشخصيته انظر السيد الباز العريني : المغول، بيروت، دار النهضة

العربية ، ١٩٨٦ م ، ص ٤٣ - ٥٣ . (١٤)

- اولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٣٢٣ .
- المقريزي ، ابو العباس أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٢ ، تحقق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٥٦ م - ١٩٥٨ م ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٧٨ .
- ابن كثير : مصدر سابق ، ج ١٤ ، ص ٨٦ (٤٤)
- Bertold, p. 45. (٤٥)
- ابن كثير : مصدر سابق ، ج ١٤ ، ص ٩٧ . Bertold, p. 9. (٤٦)
- Michael weiers, « Von Ögödei bis Möngke » , in : Michael weiers (Hreg) ; Die Mongolen, chaft, Darmstadt, 1986, p. 197.
- النسوي : مصدر سابق ، ص ١٧٢ . عفاف صبرة : مرجع سابق ، ص ٢٠٠ . (٤٨)
- سونيا.ي.هاو : في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رفعت ، مراجعة د. محمود النحاس ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧ ، ص ٤٢ . السيد البار العريني : مرجع سابق ، ص ٣٢٢ . (٥٠)
- جوزيف نسيم : دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٤٧-١٤٨ .
- انظر الخارطة المرفقة في نهاية البحث .
- جوزيف نسيم : تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٨ .
- رنية كلوزية : تطور الفكر الجغرافي ، تعريب عبد الرحمن حميدة ، دمشق ، دار الفكر ١٩٨٢ م ، ص ٤٣ . سونيا هاو : مرجع سابق ، ص ٦٨ .
- Michael Weiers : Op.Cit , pp. 200-209, 215 .
- ابن الاثير ، علي بن أحمد بن ابي الكرم : الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ج ٩ ، ص ٣١٣ .
- ابن كثير ، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل : البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٨٥ م ، ج ١٣ ، ص ١١٩ .
- الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٥ . (٣٠)
- النسوي : مصدر سابق ، ص ١٠٠ . (٣١)
- الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١٦ ، ١٢١ ، ١١٨ .
- Howorth. H. H : History of the Mongols, London , 1876 , Vol. 1 , p. 77. Hans Reiner Op. Cit, pp. 189 - 191 .
- عفاف صبرة : مرجع سابق ، ص ٢٠٠ ، (٣٢)
- الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢ .
- حول تقسيمات الامبراطورية المغولية بعدد جنكيز خان انظر الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٥ . (٣٣)
- حافظ حمدي : مرجع سابق ص ٢٢٦ . (٣٤)
- الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٠ - ١٨١ . (٣٥)
- الهمداني ، رشيد الدين بن فضل الله : جامع التواريخ ، ٢ م ، ج ١ ، نقله الى العربية محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداي ، وفؤاد عبد المعطي الصياد ، راجعه يحيى الخشاب ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٦ .
- Bertold : Op. Cit, p. 31. (٣٧)
- الهمداني : مصدر سابق ، ص ٢٦٠ . (٣٨)
- الصياد : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١٢ ، ٢٩٣ . (٣٩)
- Bertold ; Op. Cit, pp. 32-38, 41. (٤٠)
- Ibid , p. 26 . (٤١)
- ابن كثير : مصدر سابق ، ص ٣٢١ . (٤٢)
- ابن ابيك الدواداري ، ابو بكر عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٨ ، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق

- (٥٢) حافظ حمدي : مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .
- (٥٣) ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي : رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م ج٢ ، ص ٧١٧-٧٣٣ .
- (٥٤) محمد ابو جراد (مترجم) : الصين بلاد الطبيعة والجمال ، بكين ، دار النشر باللغات الاجنبية ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٧١ .
- (٥٥) Michael Weiers : Von Ögödei bis Möngke, pp. 209-210 .
- (٦١) ابن ابيك الدواداري : مصدر سابق ، ج٨ ، ص ٢٤٨ .
- (٦٢) المقرئ : مصدر سابق ، ج١ ، قسم ٣ ، ص ٣١٢ . ابن ابيك الدواداري : مصدر سابق ، ج٨ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .
- (٦٣) المقرئ ، ابو العباس احمد بن علي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والالار ، القاهرة ١٢٧٠ هـ ، ج٢ ، ص ٢٢١ .
- (٦٤) من السلاطين المالك الذين اعطوا امتيازات للمغول الوافدين الى مصر والشام السلطان زين الدين كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦م) .
- (٦٥) Aly Mazahreri; so lebten die Muselmanen im Mitellalter, Deutsche Verlags - Anschalt, Stutugart, 1957 , p. 91.
- (٦٦) المقرئ : السلوك ، ج١ ، ص ٥٥٠ .
- (٦٧) من حكام ايلخانية فارس الذين اعتنقوا الاسلام : تكودار احمد بن هولوكو ١٢٨٢ - ١٢٨٤م ، غازان بن ارغون ١٢٩٥ - ١٣٠٤م ، الجايبو محمد خدابنده ١٣٠٤ - ١٣١٦م ، ابو السعيد بن محمد خدابنده ١٣١٦ - ١٣٣٦م .
- (٦٨) محمد ابو جراد : مرجع سابق ، ص ١٧٢ .
- (٦٩) سونيا هاو : مرجع سابق ، ص ٢٧ .
- (٧٠) حافظ حمدي : مصدر سابق ، ص ٣٠١ .
- (٥٦) حافظ حمدي ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .
- (٥٧) Michael Weiers : Op. Cit, 209 .
- (٥٨) ابن ابيك الدواداري ، ابو بكر عبد الله ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٧ ، الدرر المطلوب في اخبار بني ايوب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢م ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ .
- (٥٩) ابن ابيك الدواداري : مصدر مسابق ، ج٨ ، ص ٩١-٩٠ .
- (٦٠) ابن عبد الظاهر ، محي الدين : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد

